آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية
السنة التاسعة عشرة، العدد الثاني، الخريف والشتاء ١٤٣٧ هـ .ق، ١٣٥ – ١٥٧

تأثير عُنصر الحَركة للأفعال في الصور البيانيّة

حِكَم نَهج البلاغة نموذجاً

سيّدحيدر فرع شيرازي*

صغرى بياد**

الملخص

الحركة هي ضدّ السكون ولها وجود ملحوظ مع كل كائنوتعدّ مكانة متميّزة في الصورة الشعريّة لأنّهاآلة من الآلات المهمّة في الحيويّة والنشاط للتصوير، والصور الحركيّة تجسّد المعنى تجسيداً حيّاً وأكثر قوّة في الأداء وتأثيراً في النفس، من هنا كان لهذا اللفظ امتداد واسع في الدلالة.فنحن نقف في دراستنا هذه على تأثير عنصر الحركة للأفعال في الصور البيانيّة في حكم نهج البلاغة؛ لأنّ هذه الحكم لها مكانة مرموقة من حيث الأدب.وأمّا المنهج الذي اخترناه لمعاجة هذا البحث فهو المنهج الوصفي . التحليلي بدراسة الفعل في تراكيب الصور البيانيّة في الحكم لتتضح من خلالها حركة ونشاط الصور لإيصال المعنى. ويهدف هذا البحث إلى دراسة الأفعال الحركيّة في الحكم حتّيتبيّن لنا مدى اهتمام الإمام علي (ع) فيمنح الصور الأدبيّة الحياة والحيويّةللوصول إلى جماليّات رائعة تكمن وراءها.فنظراً إلى أنواع مختلفة من الحركةنحاول أن ندرس الأفعال الحركيّة لنلقي الضوء على أهميّة الحركة ومدى تأثيرها على بناء الصور البيانيّة المستخدمة في حكم نهج البلاغة. لهذا قمنا باختيار الأفعال الدّالة على الحركة الانتقالية من مثل

* استاذ مساعد فى قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة خليج فارس بوشهر، ايران (نويسنده مسول)، shiraz.he@yahoo.com

** ماجستير فى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة، خليج فارس بوشهر، ايران، Sbeyad893@gmail

تاريخ الوصول: ١٣٩٥/٨/٢٨، تاريخ القبول: ١٣٩٥/١٠/١١

«الأفقيّة،والسريعة،والصعوديّة،والنزوليّة»؛ ذلك؛ لأنّ أبرز وسائل تصوير الحركة في بنيـة الجملـة هـي الأفعـال والـتي ندرسـها عـن طريـق الصـور البيانيّـةعلى نحـو التشبيه،والاستعارة، والمجاز،والكناية.وقدتوصلنا في هـذه الدراسـة إليـأنّ استخدام الأفعال الدّالة على الحركة في الصور البيانيّة وفقاً لنوع الحركةفيهاتخلق صورةً جذابة مؤثرة وتزيد على المعنى.

الكلمات الرئيسيّة: الحركة، الدلالة، الصورة، الحكمة، نهج البلاغة.

١. المقدمة

يعدّ مصطلح علم الدلالة من الاصطلاحات الجديدة في الدراسات اللغويّة العالميّة وهو يرجع إلى أواخر القرن التاسع عشر مع اللغوي الفرنسي ميشال بريال(M.Breal)إلى وضع هذا المصطلح يشرف من خلاله على البحث في الدلالة،فعلم الدلالة أو«السيمائيّة"semantics" مصطلح مأخوذ من اللفظة اليونانيّة "semoiology" وأصل هذه اللفظة هو "sema" المأخوذة من كلمة "سمة أو سيما" العربيّة بمعنى العلامة كما جاء في القرآن الكريم:﴿سيماهُمْ في وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾(الفتح/٢٩)» (شكيب أنصاري، ١٣٨٧هـ.ش: ١٦١). ويعرف بعض العلماء بأنّ علم الدلالة «هو دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع الذي من علم اللغة الذي يتناول نظريّة المعنى أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتّى يكون قادراً على حمل المعنى» (عمر، ١٩٩٨م: ١١). ومن جهة أخرى فقد أشار إليه البعض الآخر بأنّعلم الدلالة «هي إحدى شعب علم اللغة الحديث التي تعنى بالعلامات والدلالات الذاتيّة والصرفيّة والنحويّة والبلاغيّة والمعجميّة».(المصدر السابق، ١٣٨٧هـ.ش: ١٦١).

وأمّا بالنسبة إليالعلاقة بين الدلالة والبلاغة التي هي محل بحثنا في هذه الدراسةفإنّه يقول عبد الواحد الشيخ بأنّه:«يتمّ تبدل المعنى الدلالي في البلاغة عن طريق عدّة طرق وألوان بلاغيّة منها, فكرة المقال والمقام, والاستعارة, والكناية, والتورية, والتشبيه, والمجاز وجميعها يتمّ فيها انزلاق المعنى أو تبدّله بطريقة تدخل البلاغة في علم الدلالة» (الشيخ،١٩٩٩م: ١٦). إذن المعنى

عامل مشترك بين البلاغة والدلالة،ومع أنّ«الدلالة البلاغيّة تظهر المعاني الثانوية للجملة فعلوم البلاغة تهتمّ بإيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة مثل المعنى الحقيقي والمجازي وهذه تفيد كثيراً في فهم دلالة الكلمات والجمل والعبارات». (شكيب أنصاري، ١٣٨٧هـ.ش: ١٦٥)

إنّ الحركة في جميع أمثلتها تنتهي إلى تحوّل وإنشاء أشكال جديدة فيخلق التصوير، وعليه استخدم الشعراء والأدباء الحركة في بيان أحاسيسهم لأنّ عنصر الحركة آلة من الآلات المهمّة في الحيويّة والنشاط للتصوير.والصورة المتحرّكة يمكن أنترتسم في سياق العبارات وكلماتها كقوله تعالى:﴿أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلى شَيْءٍ﴾(إبراهيم/١٨)فالذي نلاحظ في هذه الآية أنّها «تزيد الصورة حركة وحياة، بحركة الريح في يوم عاصف،تذرو الرماد وتذهب به بدداً إلى حيث لا يجتمع أبداً».(سيّد قطب،٢٠٠٢م: ٣٩)فكلمة "الريح"الدالّة على الحركة في ذاتهاهي التي تسبّب حركيّة جديدة وشديدة بالنسبة إلى الرماد. و كذا ما نجد فيهذه الآية:﴿قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾(الكهف/١٠٩) حيثيترائى لنا فيها المداد بأنّها تدلّ على الحركة وهي«حركة الامتداد بماء البحر لكتابة كلمات الله في ما غير ما توقف ولا انتهاء إلّا أن ينتهي البحر بالنفاد». (المصدر السابق،٢٠٠٢م: ٧٦)

هذه هي الأسماء التي لها الدلالة على الحركة لكنّ الذي نختاره في هذه الدراسة هو ألفاظ الأفعال التي تدلّ بذاتها على التصوير الحركي في حكم نهج البلاغة وهو«يأخذ مكاناً مهمّاً في اللغة لأهميّتهفي التعبير عن النشاط والحركة ويلعب الفعل دوراً مهمّاً من بين أجزاء الجملة بسبب وظيفته لأنّه يدلّ على الحدث والزمن».(داود،٢٠٠٢م: ٣٢)ولهذا الغرض سنبدأ بالتعرّف على دورالحركة في إلقاء المعاني ومفهومها ثمّ تحديد الحكم في نهج البلاغة ودراستهاالتي فيها الصور البيانيّة الدالّة على الحركة لكي نجسّد مدى اهتمام الإمام علي (ع) بالموضوعات الأدبيّة في المفاهيم الأخلاقيّة والدينيّة؟ومدى منحه لهذه الصور من الحياة والنشاط والحركة؟

ولمعالجة هذا البحث، سنقوم بمطابقة نماذج من أفعال الحركة على أساس أنواعها، وهي: الأفقيّة، والسريعة، والصعوديّة، والنزوليّة، وهي أنواع الحركات التي استخدمت في الصور البيانيّة

في حكم نهج البلاغة. وستتمّ الدراسة من خلال المنهج الوصفي-التحليلي. وفي دراستنا هذه نختار الصور الدالّة على الحركة في حكم نهج البلاغة لبيان خصائصها وميزاتها. ونسعى للوصول إلى نتيجة شاملة بالنسبة إلى الصور الأخرى وهي تبيين دلالات الأفعال الحركيّة ودورها في تأثير الصور البيانيّة على القارئ. وفي الختام سوف نقدّم أهمّ النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث.

١.١ خلفيّة البحث

مصطلح التصوير الحركي من المصطلحات البلاغيّة والنقديّة التي ظهرت في دراسات المحدثين ممن شغلوا بالصورة الفنّيّة.ولعلّ من أوائل من عني بإبرازه هو سيّد قطب في كتابه "التصوير الفنّي في القرآن"،وركّز على هذا الأمر في تحليل صوره وشواهده رغم أنّ العلماء السابقين مثل ابن جني وعبد القاهر الجرجاني نبّهوا إلى أهميّته. وقداهتمّ السيد قطب فيكتابه بطريقة التصوير في التعبير في أسلوب القرآن واستخدم التصوير باللون والتصوير بالحركة والتصوير بالتخييل لإدراك آفاق التصوير الفنيّ وهو لم يدرس اللفظ الدالّ على الحركة على خصوص أنواع دلالاتهوإنّما عالج العبارة كلّها من حيث الصورة، ويتبيّن لنا هذا في دراسته لقوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾ (مريم/٤) حيث قال فيه بأنّ «حركة الاشتعال هنا تخيّل للشيب في الرأس الحركة كحركة اشتعال النار في الهشيم فيها حياة وجمال».(سيّد قطب، ٢٠٠٢م: ٧٨) فالذي يلاحظ فيه أنّه اختار ظاهرة التخييل الحسي والتجسيم في التصوير البياني من دون مناقشة الدلالة اللفظيّة ونوعها في هذه الحركة.

ومن المصادر التي خاضت هذا النقاش هو كتاب "الدلالة والحركة"لمحمّد داود وقدعالج فيه الحركة من ناحية دلاليّةوأنواع الحركة من حيث القوّة والسرعة ونوع الحركة. وهناك مقاللهصلة بموضوع الحركة لكن في مجال القرآن وهو: "نقش عنصر حركت در حيات بخشى به تصاوير قرآنى وبررسي آن در جزء هاى ٢٨و٢٩ قرآن كريم" لمريم ولايتي وبتول مشكين فام،حيث نوقش فيه دور الحركة في إغناء الصور القرآنيّة مع دراسة آيات مكيّة ومدنيّة. وممّا يخصّمن

البحوث في نهج البلاغة فإنّه لم نجد ما يتصل ببحثنا في دلالة الحركة رغماً على كثرة الدراسات الأدبية فيه. ولذلك فإنّ هذا المقال جديد في نوعه يبيّن في خلاله أهمّ الصور المتحرّكة في حكم نهج البلاغة ودورها في تبيين المعاني والأغراض.

١.١.١ حكم نهج بلاغة والأدب الفنيّ

قد يظهر لنا عبر مراجعتنا للتاريخ بأنّ هذا الكتاب قد حظي بأهميّة كبيرة من قبل الأدباء والبلغاء في عصره حتّى عصرنا الحاضروقد قال ابن أبي الحديد عن بلاغة الإمام علي (ع): «فهو إمام الفصحاء والبلغاء وكلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة». (ابن أبي الحديد، ١٩٦٥م: ٢٤/١)وكما قال عنه الشريف الرضي: «على أمثلته حذا كل قائل خطيب،وبكلامه استعان كل واعظ بليغ». (الرضي،١٤١٩هـ.ق: ٨) وهذا الاهتمام البالغ يرجع إلى أنّ كل فرد قد وجد فيه ضالّته من حيث مطالعته لظاهرالكتاب وباطنه أو في مجال الأدب ومجال المعاني والمفاهيم والتعاليم الأخلاقيّة وغيرها في خطبه أو في رسائله أو في حكمه.

واللغة الفنيّة التي استخدمها الإمام علي بن أبي طالب (ع) في حكمه أو خطبه،هي اللغة الجماليّة المحضة.وإذا نظرنا إلى الأشكال الفنّيةفي كلماته وحكمهنجد بأنّها تمتاز برموز كثيرة من ناحية الأسلوب والمعنى فمن «ناحية الأسلوب فحكمه ذات أسلوب خاص يقوم على الإيجاز، وفيها الجمل القويّة بصورها وتشبيهاتها مقيّدة حيناً على السجع وحيناً على الازدواج والموازنة ويعتمد أحياناً على الطباق والمقابلة وكذلك الألفاظ ذات وقعشديدة التأثير، قويّة الدلالة على المعنى المراد، وتتّصف بالجزالة وسهولة النطق وربط الألفاظ على أجمل ما يكون في صياغة فنيّة قويّة والقدرة على الإيحاء بالجو العاطفي الملائم لمضمونها، وأيضاً تجد صور الجمال الفنّي المتمثّلة بالموضوع والجرس والموسيقى والصورة والحركة متداخلة متناسقة في النص الواحد». (الأسدي، ٢٠٠٦م: ٤٨-٤٩) فكلّ لفظة يستفيد منها الإمام تقع في موضعها ممّا يبعدها عن الخلل، ولا تشعر وأنت تقرأ حكمته إلّا نصّاً في نسج واحد يسير في طريق مستقيم كأنّه ماء جارٍ يلتذّ الإنسان من سماعه واتباعه.وذلك يسهم إسهاماً كبيراً في دلالة

النصّ وإثارة ذهن المتلقي في مستوياتها المختلفة ونجد «في هذه الحكم الصور الفنيّة المتحرّكة التي خلقت جوّاً ملموساً ومحسوساً للمخاطبين والإمام قد جعل حكمه أكثر تحرّكاً وفهماً بالاستخدام الدقيق للتشبيهات الحسيّة والاستعارات القويّة والألوان المتنوّعة والصور الفنيّة الدقيقة». (مرتضى قائمي،مجيد صمدي،ص١٥٢).

وعليه فإنّنا بما نلاحظبأنّ حكم نهج البلاغة لها مكانة سامية في فصاحة الكلام وبلاغتهوفيها معان راقية ومرتسمة على أساليب فنّية جديرة بالاهتمام في مجالات مختلفة للحياة الإنسانيّة، فتناولنا في هذا المقال معالجة الصور البيانيّة فيها من حيث أنواع الحركةودلالاتها.وهناك دراسات عديدة في بلاغة نهج البلاغة لكنّها تناولت الخطب أكثر منها إلى الحكم وأنّنا لم نعثر على دراسة شاملة تطرق موضوع الحركة في الصور البيانيّة من الحكم، فهذه الدراسة جاءت فيها جديدة في نوعها.

٢.١.١ مفهوم الحركة

إنّ الحركة (Motion) كموضوع عام لا يختصّ بالأدب وإنّما ينبغي معالجتها في علومٍ أخرى، لذا سنلقي النظر موجزاً على تعريفها في الفيزياء بدايةً ثمّ في الصور الأدبيّة. وأمّا تعريف الحركة من حيث علم الفيزياء فـ«هي الفعل في التغيير المكاني، أي التحرّك من مكانٍ إلى مكانٍ آخر فالحركة تحدث إمّا بتأثير جسم على جسم آخر أي قوّة خارجيّة أو تكون داخلاً لجسم بتأثير قوّة العضلات. عندما يغيّر جسماً ما موقعة بمرور الزمن بالنسبة لجسمٍ آخر فإنّه يقال في حالة حركة بالنسبة للجسم الثاني أمّا إذا كان موقعالجسمين النسبي لا يتغيّر بمرور الزمن فإنّ كلاهما يكون في حالة سكون بالنسبة للآخر فالسكون والحركة إذن مفهومان نسبيّان ولا معنى للسكون المطلق بالمفهوم الفيزيائي».(كرسون، لاتا، ٦٣) كذلك الأشجار والبيوت تظهر كأنّها ساكنة بالنسبة للأرض لكنّها في حالة مستمرّة بالنسبة للشمس مثلاً.

وأمّا الحركة من حيث الصور الأدبيّة التي يتطرّق الأدباء إليها فهي«ضدّ السكون ومن الألفاظ واسعة الدلالة متشعبة المعنى وذلك لا تختصّ بكائن معين دون غيره من الكائنات وإنّما للحركة وجود ملحوظ مع كل كائن، من هنا كان لهذا اللفظ امتداد واسع في الدلالة

وهي الطريقة الأساسيّة في التعبير عن الأفكار والمشاعر والمفاهيم بشكل عام». (داود، ٢٠٠٢م: ٣٦)

ومما يجدر القول فيه أنّ ألفاظ الأفعال من أبرز وسائل التصوير[١] الحركي،وذلك لأنّ الفعل يأخذمكاناً مهمّاً في التعبير عن النشاط والحركة في الكلام وظهرت أهميّته من حيث إنّه يدلّ على الحدث ويكمل معنى الجملة.وقد«تعدّدت الأفعال الدالّة على الحركة على أساس تعدّد ملامحها (الزمن، والمكان، والقوّة، والمصدر، والبيئة) والسمات وتفاوت درجاتها والحيّز الواسع الذي تشغله في الحياة إذ الحركة هي الشكل الذي نتعرّف من خلاله على النشاط أو الفعل، فالحركة هي التعبير الحقيقي عن الحياة، ومع النمو والتطوّر والزيادة فيها تزداد الأنماط الحركيّة».(داود، ٢٠٠٢م:٣٦)

وثمّة أنواع مختلفة ومتعدّدة للحركة ذكرها محمّد داود في كتابه «الحركة والدلالة»فلم نأخذ بجميعها ولم نذكرها في هذه الدراسة لعدم وِجدانها في الحكم وإنّما أخذنا منها بعين الاعتبار ما وقع في حيّز البحث دلالة وحركة في الأفعال البيانيّة منها وهي فيما يلي:

١.الحركةالانتقاليّةالأفقيّة

٢. الحركة الانتقاليّة السريعة

٣. الحركة الانتقاليةالصعوديّة

٤. الحركة الانتقالية النزوليّة»(المصدر نفسه، ٢٠٠٢م: ١٩)

في الحركة الانتقاليّة ينتقل الجسم من موضع إلى موضع آخر، ويهتمّ هذا النوع من الحركات بتطوير نموّ القدرات الانتقاليّة التي يتساعد الجسم على أداء الحركة خلال البيئة المحيطة به. فعلى سبيل المثال قطرات الماء المتساقط في الهواء تنتقل من موضع إلى آخر وقد تدور حول نفسها فهي تتحرّك حركة انتقاليّة وفي الوقت نفسه تكون في حالة حركة دورانيّة وحركة اهتزازيّة، وواضح أنّ نوع الحركة للجسم يختلف باختلاف المحاور المرجعيّة، وأمّا الأمثلة التي سنعالجها من الأفعال الحركيّة الانتقاليّة في الحكم حسب الأنواع المسبوق ذكرها فهي تختصر في الموارد التالية نموذجاً:

•قال (ع): «وَالفُرصَةُ **تَمُرُّ** مَرَّ السَّحابِ، فَانْتَهِزوا فُرَصَ الخَيْرِ».(الحكمة/٢١)

•قال (ع): «أَهْلُ الدُّنْيا كَرَكْبٍ **يُسارُ** بِهِمْ وَهُمْ نِيامٌ».(الحكمة/٦٤)

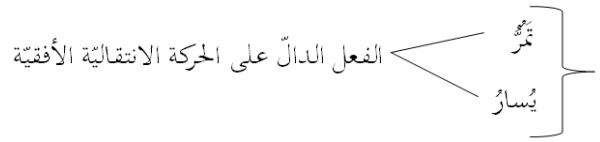

•قال (ع):«مَنْ **جَرَى** في عِنانِ أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِ».(الحكمة/١٩)

•قال (ع):«عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ الفَقْرَ الَّذي مِنْهُ **هَرَبَ**».(الحكمة/١٢٦)

• قال (ع): «كُنْ في الفِتْنَةِ كابْنِ اللَّبُونِ، لا ظَهْرٌ **فَيُرْكَبَ**، وَلا ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ». (الحكمة/١)

• قال (ع): «مالِكٌ ما مالِكٌ! وَ اللهِ لَو كانَ جَبَلاً لكانَ فِنْداً، وَلَو كانَ حَجَراً لكانَ صَلْداً، لا **يَرتَقيهِ** الحافِرُ». (الحكمة/٤٤٣)

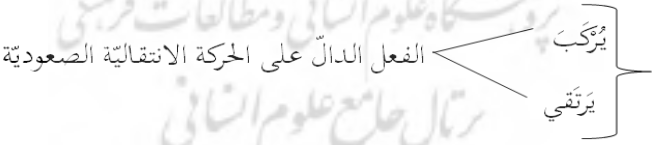

•قال (ع):«فَإنَّ المَرَضَ لا أَجْرَ فيهِ وَلكنَّهُ **يَحُطُّ** السَّيِّئاتِ وَ**يَحُتُّها** الأوْراقِ». (الحكمة/٤٢)

•قال (ع):«فَإذا **نَزَلَتْ** بِهِ نائِبَةٌ جَرَى إلَيْها كَالماءِ في انْحِدارِهِ».(الحكمة/٢٥٧)

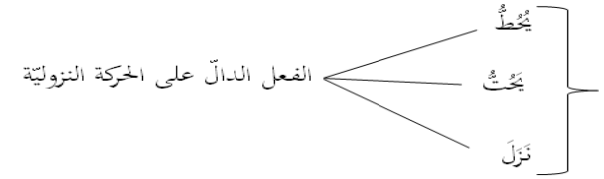

وهناک بعض أنواع أخرى من الحركة لم نجد له ما يطابقه في الحكم – من غير الخطب– إلّا في موطن واحد وهو الحركة الاهتزازيّةلكن تنازلنا عن دراستها نظراً لقلّة عددها وهو قوله (ع):«فإنَّ الحِكمَةَ تَكونُ في صَدْرِ المنافِقِ **فَتَلَجْلَجُ** في صَدرِهِ ...». (الحكمة/٧٩)وقد دلّ فيه فعل «تلجلج» على الحركة الاهتزازيّةبمعنى «تردّد واضطرب». كما أنّه لم نعثر في دراستنا للحكم على نماذج من الأفعال لتدلّ في دلالتها البيانيّة على الحركة الدورانية أو غيرها إلّا في خطب من نهج البلاغة فتصفّحنا عن ذكرها لعدم إدراجها ضمن البحث.

٣.١.١ حكم نهج البلاغة والأفعال الحركيّة

إنّ دراسة الأفعال الحركيّة والطريقة المتخذة فيها تنبعث عن تحقّق شروط وأمور،فمنها أن يندرج الفعل في سياقه ضمن أحد الصور البيانيّة من التشبيه والمجاز والكناية والاستعارة، فإذا خرج عنها فقد خرج عن إطار البحث ولو دلّ الفعل على نوع من الحركة وذلک مثل قوله (ع):«وتَبِعَ جِنازَةَ فَسَمِعَ رَجُلاً يَضحك...».(الحكمة/١٢٢) فكما يلاحظ فيه أنّ لفظ الفعل «تبع» فيه الحركة الانتقاليّة الافقيّة بيد أنّه ليس منطبقاً على أحد الصور البيانيّة ممّا اشترطناه في البحث؛ ومنها أن يتضمّن الفعل في ذاته دلالة حركيّةفإذا لم ينطو الفعل في ذاته على نوع من الحركة فقد خرج عن البحث ولو اشتمل على أحد الصور البيانيّة على نحو قوله(ع):«وَالأمانيُّتُعْمي الأعْيُنَ البَصائِر...».(الحكمة/٢٥٧) فإنّ الفعل «تعمي» لم يندرج ضمن الأفعال الحركيّة لكن نرى فيهالاستعارةوهي من الصور البيانيّة. وكذا الأسماء الدالّة على الحركة من مثل «الريح»، و«البحر»، و«المداد» وغيرها التي مرّ التمثيل بها في المقدّمة فهي خارجة عن موضوع هذه الدراسة.

وأمّا الأفعال التي سنتناولها ههنا بالبحث والدراسة تطبيقاً وتحليلاً فهي في أربعة أنواع من الحركة الانتقاليّة الدلاليّة من الأفقيّة والسريعة والصعوديّة والنزوليّة. وقد اقتصرنا في كلّ منها على نموذجين من الأفعال الحركية دراسة وتحليلاً، وذكرنا الأمثلة الأخرى على سبيل الإلماح.

١.٣.١.١ الحركة الانتقاليّة الأفقيّة

قد تنوّعت الآراء حول اتجاهات هذه الحركة الأفقيّة؛ كالحركة من اليمين إلى الشمال أو من الشمال إلى اليمين وقد يكون هذا الانتقال الحركي سريعاً أو بطيئاً لكن في الأفعال الدالّة على الحركة الانتقاليّة الأفقيّةتظهر أهميّة ملمح المسافة وهيسمة داليّة تميّزها عنأفعال حركيّة أخرى و«من أهمّ ملامح الدلاليّة المميّزة لقسم كبير من أفعال الحركة الانتقاليّة هو الحركة والسرعة والقوّة، ومن خلال تحديد اتجاه الحركة (رأسي إلى أعلى، رأسي إلى أسفل، أفقي ذهاب، أفقي إياب، منحنيّة) من خلال تحديد درجة سرعة (سريعة أو بطيئة) ومن خلال ملمح القوّة تمييز مجموعة داليّة واحدة تتسم فيها الأفعال الحركيّة الانتقاليّة بسمة القوّة وملمح القوّة بارزاً في مقابل اختفاء ملمح الضعف في قسم الحركات الانتقاليّة». (داود، ٢٠٠٢م: ٤٩)

وبما أنّ لكلِّ حركةٍ دلالةً إيحائيّة يمكن دراستها ضمن سياقها فإنّ الأفعال الحركيّة المنطبقة على هذا المعنى يمكن تحديدها ودلالاتها في حكم نهج البلاغة من خلال دراسة نموذجينعلى النحو التالي:

١-١. قال (ع):«وَالفُرصَةُ**تَمُرُّ** مَرَّ السَّحابِ، فَانْتَهِزوا فُرَصَ الخَيْرِ».(الحكمة/٢١)

إنّ الفرصة للانسان تبدو ساكنة غير متحرّكة فلا يعرف قدرها بينما هي ثوانٍ ودقائق بل لحظات متواصلة غير منقطعة يمرّ بها الإنسان وهي تمرّ به من حيث لا يشعر ولإفادة هذا الشعور والتنبيه عليه نجد تشبيه مرورها بمرور السحاب الذي يبدو ساكناً في ظاهر الأمر ولكنّه يتحرّك ويتقدّم إلى الأمام كما أنّ الجبال في قوله:﴿وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ﴾(النمل/٨٨)تسير وتتحرّك ولكن «إذا نظر إليها الناظر حسبها واقفه ثابتة في مكان واحد».(الزمخشري، ١٤٠٧هـ.ق: ٣٠٧/٣)

وأمّا تعريفه لغويّاً فإنّالفعل «مرّ»أي:«ذَهبَ واستَمرّ عليه»(الجوهري، ١٩٩٠م: ٨١٥/٢)«أو ذهب وجاء». (ابن منظور، ١٣:١٩٩٩/٧١)و«المرُورُ: المضيّ والاجتياز بالشيء».(الراغب الأصفهاني، ١٩٩٢م: ٧٦٣)وقد استدلّ محمّد داود في دلالة الفعل (مرّ) على أنّه يقع «في مجال الحركات الانتقاليّة الذاتيّة التي تصدر من الإنسان وغيره وتتمتّع مادّة

هذا الفعل بمدى واسع جدّاً دلاليّاً وتشير المعجمات إلى أنّ دلالات هذه المادّة تدور حول معنى الذهاب والمضي أمام موقع محدّد أو شيء معين واجتيازه.».(داود، ٢٠٠٢م: ٣٣٧) فحركة هذا الفعل (مرّ) تكون بشكل تقدمي وفيه همّة ونشاط وهو يحدث حينما يريد الإنسان أن يتحرّك إلى الأمام والمضي.

وهنا يفترض مرور الفرصة والزمن بمرور السحاب وذكره بسبب أهميّته في الحياة كما قال ابن أبي الحديد في معناه:«انتهز الفرصة في إحراز المآثر واغتنم الإمكان باصطناع الخير ولا تنتظر ما تعامل فتجازي عنه بمثله».(ابن أبي الحديد، ١٩٦٥م:١٣١/١٨) لأنّ فرصة الشباب والعمل والسلامة تمرّ بسرعة وأحياناً لا تعود بسهولة أو أبداً.إذاً الإمام (ع) يخلق تصويراً ويستخدم فيه التشبيه كأحد أركان الصور البيانيّة لإيضاح المفهوم؛وهذا التشبيه من نوع التشبيهالمؤكّد فهو يشبه مجيء الفرصة وعدم الشعور بسرعة زوالها بالسحاب المارّ، فأعطانا التشبيه صورة واضحة جليّة لسرعة انقضاء أمد الفرصة، حين شبهها بصورة حسيّة تتمثل بمرور تلك السحاب وانصرافها ممّا يقرّر المعنى ويؤكّده في الذهن. على كل حال يتبيّن لناأنّ الفرصة لاتعوض ولاتأتي مرّة أخرى فهي تمرُّ سريعاً كما تمّر السحاب، فيلزم الاستفادة من الفرص الثمينة التي سمّاها الإمام (ع) بفرص الخير.

وبالإضافة إلى ذلك،نلاحظ أنّ استخدام الفعل الدالّ على الحركة في هذه الحكمة وهو الفعل (مرّ)دلالته على أساس الحركة الأفقيّة بمعنى الذهاب والمضي وهذه الدلالة ينبّه انقضاء الفرص في الحياة للمتلقي، ويمكن هذا التحذير بسبب أن يتيح المخاطب المجال لتمتّع الزمن أكثر فأكثر. وهذا الفعل الحركي يساعد أن تكونصورةالحكمة أكثر إشراقاً وتفاعلاًفي ذهن المخاطب حتّى يستظهر في باله؛لأنّ هذا الفعل من أهمّ العوامل التي تمنح الحركة لهذه الصورة وتزيدها فيها وتجعل المخاطب أن يشعر بحيويّة الحركة في الصورة وبتزامن امتدادها معه.

١-٢. قالَ (ع): «أَهْلُ الدُّنْيا كَرَكْبٍ **يُسارُ** بِهِمْ وَهُمْ نِيامٌ».(الحكمة/٦٤)

وردهذا الفعل (سار) في كتاب الدلالة والحركة،في مجال الحركات الانتقاليّة حيث «يأخذ ملمح المسافة (المكان) دوراً مهمّاً في تحديد دلالة الفعل وتشير إلى معنى الذهاب والمضي وأهمّ ملامح هذا الفعل هي الحركة والانتقال».(داود،٢٠٠٢م:٩٨)وقال الراغب في دلالة

كلمة السير بأنّه «المضيّ في الأرض» (الراغب، ١٩٩٢: ٤٣٢)كما أنّقولهفيالحديث: «نُصِرْتُبالرُّعْبِمَسِيرَةَشَهرٍأَي:المسافةالتييسارفيهامنالأَرض»(ابن منظور، ١٩٩٩م: ٣٨٩/٤)فدلالة السير المكانيّة دلالة بارزة وهي بيّنة من قطع المسافة على الأرضخاصّة فيما نجد في كثير من الآيات –حوالي ثلاث عشرة آية– أنّها تدلّ على السير الأرضي و على الحركة الانتقالية الأفقية نحو: ﴿فَسِيرُوافِيالْأَرْض﴾(آلعمران/١٣٧)وما يشابهها من مشتقات من مثل السيّارة وتسيير الجبال وغير ذلک. ووفقاً لحركة الإنسان في هذا الفعل فإنّ الإنسان يسير إلى الأمام في أي اتجاه يريده سواء أكان للأعلى أو للأسفل أو بشكل مستقيم يتمّ السير بإرادة الإنسان لأنّه يقصد مكاناً معيّناً كما نلاحظ في هذه الآية:﴿فَسِيرُوافِيالْأَرْض﴾(آلعمران/١٣٧)،وفي قوله تعالى:﴿هُوَ الَّذي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (يونس/٢٢) بمعنى «يسيّركم في البحر على الظهر وفي البحر في الفلك »(الطبري،١٩٩٢م: ٧٠/١١)والكلمة هذه –أي السير– لها حيويّة وحركيّة موسّعة تجعل من الإنسان ينشط ويتفعّل في حياته في جسمه وفكره وذهنه.

وأمّا إذا أردناالاهتمام بهذه الحكمة من حيث الصورة الفنيّة فإنّه قد ورد فيها التشبيه المفصّل وهو من الصور البيانيّة لأنّه شبه فيه أهل الدنيا بالركب في حال النوم ووجه الشبه هو الغفلة وعدم الشعور بالسير والحركة نحو الأماموالانتهاء إلى الغاية التي سيوافونها. والتصوير في هذه الحكمة قد استخدم لإلقاء المفهوم إلى المتلقي والتشبيه فيه يوضّح الصورة ويمنح الحركة لهاوقدأشار شفيعي كدكني إلى تأثير التشبيه في منح الحركة للصورة مبيّناً الفرق بينه وبين الاستعارة قائلاً: «إنّ التشبيه مستمدّ من الطبيعة بشكل مباشر دون واسطة أما الاستعارة فهي مستمدّة من التشبيه أي إنّ التشبيه يحول بين الاستعارة والطبيعة فلذلك يعتبر التشبيه أقوى من الاستعارة حركةً». (شفيعي كدكني، ١٣٧٥هـ.ش:٢٥٣)

وهذه الحركة في الفعل واستمرارها تساعد على بقاء الصورة وحيويّتها بسبب ما فيها من دلالات ثانوية؛لأنّ الفعل (سار) رغماً على أنّه يدلّ على الحركة الأفقيّة يكمن فيه معنى آخروهو غفلة الناس عن الآخرة لأنّها كانت تشغلهم بآمال وأعمال عديمة الفائدة كأنّهم في هذه الغفلة كانوا يستمرّون حيثما يسيرون في حركة أفقيّة.والصورة الفنيّة في هذه العبارة قد

بلغت ذروتها ببنائية الفعل (يسار) وحركة السير فيه، إذ إنّه في هذا البناء يكشف عن غفلة السامعين ممّا يشدّ من انتباههم أكثر.

وثمّة أفعال أخرى تمثّلالحركة الأفقيّة في صور بيانيّة من حكم نهج البلاغة على نحو قوله (ع):«**امشِ** بِدائِكَ ما مَشَى بِكَ». (الحكمة/٢٧)فقد رسمت هذه الحكمة صورة المسايرة والتماشي مع الداء وأشارت إلى الصبر على أمور فيها المشقّة على صورة الاستعارة التصريحيّة، والفعل (امشِ) يظهر هذه الصورة؛ لأنّه من أفعال الحركة الانتقاليّة الأفقيّة وكأنّ هذا التمشي والاصطحاب مع الداء فيه الحركة الافقيّة التقدميّة. وقوله (ع):«طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلا **تَسْلُكُوهُ**».(الحكمة/٢٨٧)يرسم لنا صورة جديدة من الحركة فهو يبيّن صعوبة إدراك وفهم القدر فكأنّه طريق مظلم لا يستطيع الشخص اجتيازه ومروره وهو صورة التشبيه المؤكّد. وكما نرى أنّه قد استعمل فيه الفعل (سلك) وهو الدالّ على الحركة الانتقاليّة الأفقيّة مما زاد بدلالته الحركية من إيضاح الصورة؛ لأنّ في طريق فهم القدر يكون السير التقدمي.

٢.٣.١.١ الحركة الانتقاليّة السريعة

أهمّ ما يميّز أفعال هذه المجموعة هو اشتراكها في «الحركة والانتقال والسرعة»، وتكون حركتها أقوى من غيرها لذلك هي توحي بالقوّة والضغط والقدرة، كما جاءت أمثلة منها في الحكم من نهج البلاغة كما في التالي:

٢-١. قال(ع): «مَنْ**جَرَى** في عِنانِ أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِ».(الحكمة/١٩)

دلالة مادة الفعل (جرى) تدور حول معنى المرّ السريع كما جاء في لسان العرب بمعنى:«جَرَتْ الشَّمسُ وسائر النجوم:سَارتْ، والخيل تجري والرياح تجري».(ابن منظور،٢/٢٦٥)وورد في قوله تعالى:﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾(يس/٣٨)والجري حقيقته: «السير السريع و هو لذوات الأرجل، وأطلق مجازاً على تنقل الجسم من مكان إلى مكان تنقلاً سريعاً بالنسبة لتنقل أمثال ذلك الجسم»(ابن عاشور، ١٩٨٤م: ٢٢/٢٣٠)فهذا الفعل بمعنى السير باندفاع وبسرعة،فأهمّ الملامح الدلاليّة للفعل (جرى) هي أنّ فيه «حركة

انتقاليّة تتّسم بالسرعة وفيه لون من السير باندفاع ويستعمل للدلالة على الحدث والسرعة واستمراره ومدّة بقائه».(داود،٢٠٠٢م:٢٧٣)

والذي جاء في شرح هذه الحكمة عن ابن أبي الحديدفهو تنفير من تطويل الأمل «يذكر قطعه بالأجل فاستعار لفظ العنان له ملاحظة لشبهه بالفرس وهي استعارة مكنية، حيث استعار لفظ (الجري) للاندفاع في الأمل بحسب تطويله وأيضاً استعارة مكنية حيث استعار لفظ العثار للامتناع من ذلك الجري بعارض الأجل وقواطعه كعثار العادي بما لايعرض له من الحجر ونحوه».(الأسدي،٢٠٠٦م: ٥٨٦)شبّه الإمام علي (ع) الأمل بفرس شموس لابّد من ضبط عنانه وصدّه عن الجري إلى حيث يشاء فمن أرسل عنانه ويركضه حيث يشاء فلم يلبث يهلك راكبه.وفي الواقعقد استفيد في هذه الحكمة لبيان التصوير الموجود من آلات كالصور البيانيّة والحركة التي تظهر في الفعل (جرى) غرضاً لإيضاح المعنى وهو عاقبة سيئة لمن يرسل عنانه للهوى.

وكما أسلفنا إنّ فعل (جرى) دالّ على الحركة والنشاط، واستخدامه هنا يبيّن هذه الدلالة؛ لأنّالحركة نحو الأمل يحتاج إلى السير والمشي لكن استعمال الفعل (جرى) يشير إلى أنّه لا يمكن أن تكون حركته إلّا إلى الأمام وبجميع اتجاهاته وهي حركة أفقيّة مستقيمة في الغالب.والجري في هذا الفعل بمعنىالمجاوزة بإرادة الإنسان،ومن حيث السرعة فغالب حركته أن تكون سريعة وغير محدّدة بحسب الظروف.

وربّما يمكن القول بأنّ اللفظ الوحيد الذي يستخدم في إلقاء الحركة للصورة في هذه الحكمة هي لفظ (الجري) الذي يحمل الاستمرار والسرعة في نفسه.وعلى الرغم من أنّالحركة السريعة نحو الهوى والأمل أمر معنوي، لكن هذاالتصوير تصوير حسّي لأنّ الاستعارة وسيلة من وسائل تبدّل الدلالة وبهذا تؤدي دوراً في تسمية التصوّرات الجديدة التي ترتبط بأشياء ملموسةفاستعار لفظ العنان لشبهه بالفرس، ثمّ استعار لفظ (الجري) للاندفاع في الأمل،لكن كل هذا يساعدنا على أننفهم المعنى من خلال تصوير العاقبة السيئة لمتابعي الهوى بمساعدة دلالة الفعل (جرى).

٢-٢. قال (ع):«عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ الفَقْرَ الَّذي مِنْهُ**هَرَبَ** وَيَفوتُهُ الغِنَى الَّذي إيَّاهُ طَلَبَ»(الحكمة/١٢٦)

إنّ فعل (هرب) من حيث الملامح الدلاليّة هي «الحركة والانتقال والسرعة والخوف المصاحب الحدث، والرغبة في التخلّص من أمر غير مرغوب فيه أو من خطر ما».(داود، ٢٠٠٢م: ٣١٢) كما ورد في اللّغة بمعنىالفرار والذهاب على الخوف:«هَرَبَ يَهرِبُ هَرَبَاً: فَرَّ وجدَّ في الذهاب مذعوراً».(ابن منظور، ١٩٩٩م: ٦٨/١٥)وهذا الفرار يربط غالباً بالخوف ويكون للإنسان وغيره من الحيوانات التي يتأتى لها ذلك. وقال ابن أبي الحديد في هذه الحكمة إنّ «الرزق الواسع لمن لا يستمتع به بمنزلة الطعام الموضوع الفقر. ورأى حكيم رجلاً ثريّاً يأكل خبزاً وملحاً فقال لمن تفعل هذا؟ قال أخاف الفقر، قال فقد تعجّلته». (ابن أبي الحديد، ١٩٦٥م: ٣١٥/١٨)

فالذي يظهر لنا في هذه الحكمة هو أنّ الفقر بمنزلة شخص يستطيع أن يهرب ويفرّ،لذا يستعار من الفقر استعارة مكنية وهذه الصورة تجسّد المعنى تجسيداً،فجمال هذه الاستعارة يرجع إلى أنّ الإمام يصوّر المعنى تصويراً ويحقّق الغرض وهو نقل معنى الحسّ والحياة من جانب اللفظ،ولكن فضلاً عن هذا،توجد في الهرب أو الفرار حركة كبيرة يبذلها الإنسان، وهذه الحركة تكون إلى الأمام بشكل تقدمي وفي أيّ اتجاه أو مكان يمكن للفارّ أن يلوذ به ولا بدّ لهذا الفعل من السرعة؛ لأنّالسرعة هي عماد الفعل (هرب)ومن الأركانالمهمّة فيه. وعليه فإنّ الإنسان البخيل يستعجل في حركته وإقباله على الفقر مع أنّ الفقر في حال الفرار منه ممّا يؤدي التعجيل هنا إلى نتائج سلبيّة. وإذا أمعنّا النظر فإنّ الفعل (هرب) له دور أساسي في إلقاء الحركة وامتدادها في الصورة وهذه الحركة يكشف المفهوم للقارئ مع النشاط والميزة الديناميكيّة فيها.

وهناك أمثلة أخرى نقتصر على ذكرها في هذا المجال منها قوله (ع): «فَإنْ **هَاجَ** بِهِ الطَّمَعُ أهْلَكَهُ الحِرْصُ»(الحكمة/١٠٨) هذه الحكمة تشير إلى صورة اقتحام وهجمة الطمع في القلب على الحرص ويعتبر الفعل (هاج) من أهمّ الأجزاء في هذه الصورة الاستعاريّة التخيليّة لأنّه يدلّ على الحركة الانتقاليّةالسريعة وبمعنى ثار وتحرّك بعنف فهذا الفعل مع دلالته

الحركيّة يدور في نشاط الصورة وإلقاء المعنى للقارئ. وكذلك هذه الحكمة تتعلّق بالحركة السريعة حينما قال(ع):«وَ**رُمينا**بِكُلِّ فادِحٍ وَجائِحَةٍ».(الحكمة/١٢٢)فالذي نرى في هذه الحكمة أنّها ترسم صورة العبرة بالموت وعدم ارتباق في فخّ البلاء،فكنّي بإلقاء سهام البلاء عن إتيان ومجيء المصيبة والكارثة،والفعل (رمى) في هذه الحكمة يدلّ على الحركة في إلقاء الشيء مع القوّة والسرعة فهذه الحركة السريعة توضح الصورة مع النشاط والحيويّة للمخاطب،وكلّ هذا يعود إلى دلالة هذا الفعل التي يحملها في نفسه.

٣.٣.١.١ الحركة الانتقاليّة الصعوديّة

أهمّ ما يميّز أفعال هذه المجموعة في الملامح الدلاليّة هو«الحركة،والانتقال، والاتجاه إلى الأعلى»وحركتها حركة صعوديّة وتعبّر عن القوّة والرفعة والسلطة كماتشير إلى الأمل والتصاعد والنموّ والتحرّر من الوزن والمادّة وربّما تعبّر عن الأمل والتفاؤل وإلى ما يدعو إلى السموّ الروحي، ولها نماذج من حكم نهج البلاغة كالتالي:

٣-١. قال (ع):«كُنْ في الفِتْنَةِ كابْنِ اللَّبُونِ، لا ظَهْرٌ**فَيُرْكَبَ**، وَلا ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ». (الحكمة/١)

وممّا يتبيّن لنا في هذه الحكمة أنّ دلالة الركوب هي منوع الحركة الصعوديّة،وحركته من أسفل إلى أعلى،وانتقال من مكان إلى مكان آخر، لكن من حيث السرعة فإنّ الحركة في هذا الفعل تكون بطيئةً أو سريعةً وفقاً لنوعها. والصورة الفنّية في هذه الحكمة أنّ الإمام «أمرأحد أصحابه في زمن الفتنة أن يثنيه بابن اللبون ووجه الشبه قوله: لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب وهو تشبيه مرسل مفصلوأراد أنّ الفتن إذا تلبس الإنسان بها ووقع في غمرتها كان أدعى للهلاك وأقرب إلى تورط النفوس».(الأسدي، ٢٠٠٦م: ٥٨٤)وأمّا إذا قطع أواصره معها فذلك يؤدّيإلى السلامة ويقرب للخلاص منها، وهذه المعاني هي التي تشعرنا بها التشبيه ويدلّ عليها.

فاستخدام الفعل (يركب) كصورة من الصور الموجودة في وجه الشبه له حركة تصاعديّةينطوي بعض الدلالات فيه لتشجيع وتحفيز مخيلة المخاطب حتّى تبدو هذه الصورة

مشهداً حيّاً وناعماً مع مساعدة الحركة التي تكمن فيها لأنّه يحمل في نفسه الحركة ويلقيها إلى الصورة ويجعلها متحرّكة غير ساكنة.بالإضافة إلى أنّ الفعل المضارع(يركب) يدلّ على حدوث واستمرار المعنى وهومن يلبس بالفتن يقع في حافة الهلاك.

٣-٢. قال (ع):«مالِكٌ ما مالِكٌ! وَاللهِ لَو كانَ جَبَلاً لكانَ فِنْداً، وَلَو كانَ حَجَراً لكانَ صَلْداً، لا **يَرتَقيهِ** الحافِرُ وَلا يُوفي عَلَيْهِ الطَّائِرُ».(الحكمة/٤٤٣)

إنّه من أهمّما جاء من الملامح الدلاليّة للفعل (ارتقى) في كتاب الدلالة والحركة،هو «الحركة والانتقال والاتجاه إلى الأعلى ويصاحب حركة الارتقاء شيء من الأهميّة والمكانة».(داود،٢٠٠٢م:١٨٠)كما ذكر هذا الفعل في القرآن الكريم بمعنى الصعود والعلوّ في قوله:﴿ أَوْ تَرْقى في السَّماءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ ﴾(الإسراء/٩٣)أي:«أو تصعّد في درج إلى السماء». (الطبري، ١٩٩٢م: ١٠٩/١٥),إذن مادّة الفعل (رقي) من حيث المعنى اللغوي هو «رقيتُ في السُلّم رَقياً ورُقِيّاً إذا صعدتَ أو إذا رفعتَ».(الجوهري، ١٩٩٠م:٢٣٦١/٦) وجاء في اللسان: «ارتَقى يَرتَقي وتَرقّى: صَعِدَ... ورَقي فلان في الجبل يَرقى رُقِيّاً إذا صَعَّدَ».(ابن منظور، ١٩٩٩م: ٢٩٣/٥)

كما يعرف الفعل (يرتقي) بمعنى:«لا يصعد عليه، ولا يوفي عليه: لا يعلو عليه، والمعنى أنّ الأشتر كان عظيم المنزلة في دينه وخلقه، عالي الهمّة في شجاعته ومروءته، وفي جهاده وتضحيته».(مغنيّة، ١٩٧٢م:٤٧١/٤)جاءالإمام علي عليه السلام بمعنى في هذه الحكمة،وهو«لا يرتقيه الحافر لأنّ القطعة المأخوذة من الجبل طولاً في دقّة لا سبيل للحافر إلى صعودها ولو أخذت عرضاً لأمكن صعودها. ثمّ وصف تلك القطعة بالعلو العظيم فقال ولا يوفي عليه الطائر أي لا يصعد عليه يقال أوفى فلان على الجبل أشرف».(أبي الحديد, ١٩٦٥م: ٩/٢٠)وحينما نقول يرتقي الإنسان طريقاً فإنّه يبذل جهداً كبيراً وحركة عالية ليصل إلى ما يريد وتكون الحركة في هذا الفعل من الأسفل إلى الأعلى والصعود،وقفاً للسرعة، فإنّ الحركة فيه تكون بطيئة والإنسان يتحرّك ببطء حتّى يصل إلى هدفه.

إنّالفعل (ارتقى) استخدم في صورة بيانيّة شبّه فيها مالك بن الأشتر بجبل لا يصعد منه فهو لا يمكن لأيّ شخص الوصول إلى شأنه ومرتبته ويعرض هذا المفهوم نصب عين

المخاطب.والفعل (ارتقى) دالّ على الحركة بحيث يتأثّر خيال المخاطب على تفاصيل الصورة وهو الذي يساعد شعوره بهذه الحيويّة ويلقيه إلى الصورة ويحثّ أكثر فأكثر بالنسبة إلى الصور الأخربفتصير المفاهيم الذهنيّة في متناول الحس لأنّ حركة لهذه الصورة تزداد جمالاً وتأثيراً.

وهناك عدّة أفعال حركيّة أخرى متجهةإلى الأعلى وردت في حكم نهج البلاغة نذكر منها ما قال (ع):«تَوَقَّوا البَرْدَ في أوَّلِهِ، وتَلَقَّوْهُ في آخِرِهِ، فَإنَّهُ يَفْعَلُ في الأبْدانِ كَفِعْلِهِ في الأشْجارِ، أوَّلُهُ يُحْرِقُ وَآخِرُهُ **يُورِقُ**». (الحكمة/١٢٨) الفعل (أورق) بمعنى خرج ورقه وهذا الخروج فيه الحركة المتجهة إلى أعلى ويدلّ على الحركة الانتقاليّة الصعوديّة من أسفل إلى أعلى وفي الحكمة تتبيّن لنا صورة التشبيه المركب حيث شبّه فعل البرد في الأبدان بفعله في الأشجار في الفصول السنويّة والخروج الورق في الفصل الربيع كأنّ يدلّ على حركة النمو وتظهر هذه الحركة بالصعود والعلوّ فبمساعدة هذا الفعل تتميّز الصورة تمييزاً.

ومنها قوله(ع):«إنّ للهِ مَلَكاً يُنادي في كل يومٍ لِدوا لِلمَوتِ، وَاجْمَعُوا لَلْفَناءِ، وَ**ابْنُوا** لِلْخَرابِ». (الحكمة/١٣٢) هذه الحكمة ترسم لنا صورة عاقبة بناء البيوت في الدنيا وهي الهدم والخراب،وفيها كناية عن أنّ الدنيا دار الفناء والعطب لن يبقى فيها شيء، والفعل (بنى) يدلّ على تغيير مكان من أسفل إلى أعلى وحركته الصعوديّة وهذه الحركة تبيّن شدّة انهيار وتحطّم البيوت بعد بناها في الأعلى أشدّ بياناً. وهناك مثال آخر للحركة الصعوديّة في قوله (ع): «**أطلَعَتِ** الوَرِقُ رُؤوسَها! إنّ البَناءَ يَصِفُ لَكَ الغِنَى». (الحكمة/٣٥٥)حيث أشارت الحكمة إلى الاحتراز والتجنّب عن الحياة المبهرجةوالفعل (أطلع) فيها يتعلّق بالحركة الصعوديّة؛ لأنّه يدلّ على حركة الانتقال والارتفاع والرقي من أسفل إلى أعلى.وفي هذه الصورة ظهور وترائي الورق كناية عن كثرة الغنى والثراء،والفعل (أطلع) جزء من أجزاء هذه الصورة ليساعد على تشجيع ذهن المخاطب لإدراك الحكمة.

٤.٣.١.١ الحركة الانتقاليّة النزوليّة

إنّ من أهمّ ما يميّز أفعال هذه المجموعة هو اشتراك أفعالها في ملامح الحركة والانتقال والإتجاه لأسفل ويسمّى أيضاً بالحركة النزوليّة وهي ترمز للضعف والاستسلام كما ترمز إلى

الإحباط وتوحي بالموت أو تتمثّل في مسقاط المياه ويمكن أن توحي بالإخفاق أو اقتراب الأجل. ومن أمثلة ذلک في حكم نهج البلاغة ما نورده في التالي نموذجاً:

٤-١. قال (ع):«جَعَلَ اللهُ ما كانَ مِنْ شَكْواكَ حَطّاً لِسَيِّئاتِكَ، فَإنَّ المرَضَ لا أَجْرَ فيهِ وَلكنَّهُ**يَحُطُّ** السَّيِّئاتِ وَ**يَحُتُّها** حَتَّ الأوْراقِ».(الحكمة/٤٢)

ورد فعل (حطّ) في كتاب الدلالة والحركة بأنّه«تدور مادّته حول معنى الوضع والنزول ويقع بهذه الدلالة في مجال الحركات رأسية الاتجاه من أعلى إلى أسفل».(داود، ٢٠٠٢م:١٩٣)

والذي نجد في هذه الحكمة، أنّه شبه فقدان وحطم السيئات والذنوب بهبوط وسقوط الأوراق الخريفيّة في وقت المرض وهذه الحركة حركة طبيعيّة تضفي الجمال والوضوح في الصورة،واستعمال الفعل (حطّ) في هذا الموقف يرسم صورة هبوط وإمحاء نزول السيئات من الأعلى إلى الأسفل في ذهن المتلقي فيستوقف ذهنه إلى هذا المشهد.

وبالإضافة إلى حطّ السيئات كدعامة من دعائم التشبيه في هذه الصورة فإنّ الفعل (حتّ) يستخدم أيضاًكجزء من هيئة المشبه فهويعتبر من حركةٍاتجاهها من الأعلى إلى الأسفل،وقد ورد هذا الفعل(حتّ) في اللغة بأنّ: «التحاتُّ: سقوط الورق عن الغصن وغيره ... والحَتَتَ: داءٌيصيب الشَّجر تَحاتُّ أوراقُها منه».(ابن منظور، ١٩٩٩م: ٣٦/٣)فالحركة النزوليّة الموجودة في هذهالأفعال مفضية إلى أن يتغلغل المفهوم في خيال المخاطب، لأنّاستخدام اثنين من الأفعال (حطّ،حتّ) معاً يخلق صورة عقليّة وهي حطم السيئات ثمّ صورة حسيّة وهي سقوط الأوراق. فلذا الحركة والحيويّة في هذه الأفعال يحفّز ذهن المخاطب بأن يدقّق في الصورة الموجودة ويمكن أن يصبح خالداً في باله؛ لأنّ هذه الحركة استخدمت في الألفاظ متلائمة مع المعنى في الصورة،وكلّ هذايشير إلى المقدرة والتشخص البالغ لكلام الإمام علي (ع).

٤-٢. قال(ع): «ما مِنْ أحَدٍ أودَعَ قَلبَاً سُروراً إلّا وَخَلَقَ اللهُ لَهُ مِنْ ذلِكَ السُّرورِ لُطْفاً فَإذا **نَزَلَتْ** بِهِ نائِبَةٌ جَرَى إلَيْها كَالماءِ في الْحِدارِ حتّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ».(الحكمة/٢٥٧)

كلمة النزول ههنا تبذل حركة واضحة في الانتقال من مكان عال إلى مكان أسفل منه ويقع هذا الفعل (نزل) في مجال الحركات الانتقاليّة من أعلى إلى أسفل أو من الحركات السفليّة وبمعنى السقوط أو الهبوط.(أنظر: داود،٢٠٠٢م:١٩٣)و«النُّزُول: الحلول. ... ونزلَ مِن عُلوٍ إلى سُفل: انحدر».(ابن منظور، ١٩٩٩: ١١١/١٤)والنزول في الأصل «هو انحطاط من علو، يقال: نزل عن دابته ونزل في مكان كذا: حطّ رحله فيه، ونزل بكذا وأنزله بمعنى». (الراغب،١٩٩٢م: ٧٩٩)

وكذلك ورد في قوله تعالى:﴿ فَإِذا نَزَلَ بِساحَتِهِمْ فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ (الصافات/١٧٧)و«إسناد النزول إلى العذاب وجعله في ساحتهم استعارة تمثيليّة مكنية، شبّهت هيئة حصول العذاب لهم بعد ما أنذروا به فلم يعبأوا بهيئة نزول جيش عدوّ في ساحتهم». (ابن عاشور،١٩٨٤م: ١٠٣/٢٣)

إنّ الإمام يخلق في هذه الحكمة تصويراً وهو دعوة الناس إلى دخول السرور في قلوب الإخوان فهذا يودّي إلىإزالة المصيبة عنهم كأنّه يتدفّق الماء سريعاً في انحداره فشبّه نزول المصيبة وإزالته بنزول الماء في المنحدر،والفعل (نزل) يمثّل ركناً من أركان الصورة البيانيّة فيها،ويظهر فيهعنصر الحركة واضحاًوهو نزول النوائب والمصائب من الأعلى إلى الأسفل حتّى يصنع خطّة في ذاكرة المخاطب ويوجّهه إلى هذا المعنى الإيجابيّ البارز. واستخدام الفعل (نزل) يحمل في نفسها الحركة والحياة. وهذه الحركة النزوليّة في الفعل يحدث في المتلقي شوقاً لإدراك الحكمة ويدفعه إلى إعمال الفكر وبذل الجهد لمعرفتها.

وقد ورد على هذا المثال أفعال أخرى في حكم من نهج البلاغة تدلّ على الحركة النزولية نذكر منها على سبيل الإشارة قوله (ع): «لَوْ أَحَبَّنِي جَبَلٌ **لَتَهافَتَ**». (الحكمة/١١١)والفعل (تهافت) بمعنى سقط فالحركة فيه متجهة من الأعلى إلى الأسفل وهو من أركان الصور البيانيّة في الحكمة؛ لأنّ الحكمة ترسم سقوط الجبل بعد حبّه لعلي(ع) وهذه كناية عن صعوبة الحبّ له وعدم تحمّله للشخص، والفعل (تهافت) يدلّ على الحدوث وله دلالةعلى الحركة النزوليّة. وكذا قوله (ع): «ماءُ وَجْهِكَ جامِدٌ **يُقْطِرُهُ** السُّؤالُ فانظر عند من تقطره».(الحكمة/٣٤٦)تشير الحكمة إلى ذلّة السؤال واستعير فيها لفظ ماء الوجه للحياء

على الوجه الذي يذهب من وجه السائل بسؤاله ورشّح بذكر الجمود والتقطير وهي استعارة مكنية ترشيحيّة فنلاحظ فيها أنّ الفعل (يقطر) فيه الحركة الانتقاليّة النزوليّة وهذه الصورة والحركة تساعد على بيان المفهوم وتحفيز ذهن المخاطب لإدراك المعنى.

٢. النتائج

إنّ الإنسان ككائن حي بحاجة إلى الحركة فليس له إلا أن يختار سبيلاً يسلك فيها حسب فكرته وعقيدته ومما ينمّ بكثير عن حركاته هي الأفعال التي يقوم بها والتي تدلّ في ذاتها على التجدد والحدوث وأفعال الإنسان يخطط له أفكاره و والمسير التي ينتهي إليه فإمّا أن ينمو بفكره ويعلو بشأنه في حركاته وأفعاله وإمّا أن يسقط ويسفل في طبيعته ومهما كان من الأمر فإنّ مناقشة الحركات والاتجاهات التي يقوم بها الإنسان ضمن أفعاله خاصّة فيما ينطبع منها بصور خيالية وبيانية فإنّها تبيّن له طريقته التي يصيب فيها أهدافه أو قد يخطئ فيها مقاصده. فالمقصود من بيان تلك الحركة أو هذه هو بيان ذاك المصير الذي يكب فيه على وجهه أو يرفع من شأنه فبالحركة الصعودية قد يصوّر للإنسان قوّته في الإدراك وعروجه إلى الأعالي القيّمة وبالنزولية قد يصور له الضعف والإخفاق ونزوله إلى سقطات مهلكة؛ وبالحركة الأنتقالية السريعة قد يصور له القوّة والقدرة والاستمرار فيما يعليه أو يخزيه. وبالحركة الأفقية يصور له طريقة ممهّدة ثابتة قد ينتهي بها إلى العز والصمود أو إلى الذل والخمود.

وعليه فإنّ الحركة بصفتها من الصناعات الرئيسية في خلق الصور الأدبية توحي انطباعاً من الحيوية والنشاط ما لا نرى في غيرها. ولا يمكن خلق الصور الحية والديناميكية إلّا عن طريق استخدام الأفعال الحركيّة في الصور الفنيّة وهي من أبرز وسائل تصوير الحركة سلباً وإيجاباً فلها وظيفتها البيانية والدلالية تنطبق معاً في الغرض المسوق له الكلام.

الهامش

١. التصوير هو الأداة المفضلة في بيان الأسلوب فهو يعبّر بالصورة المحسّة المتخيّلة من المعنى الذهني فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة لهذا يجب أن نتوسع في معنى التصوير حتّى ندرك آفاق التصوير الفنّي فهو تصوير باللون وتصوير بالحركة والتصوير بالتخييل.(أنظر:سيّد قطب،*التصوير الفنّي*، ٢٠٠٢م:٣٦)

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن أبي الحديد (١٩٦٥م),شرح نهج البلاغة؛ تحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، بيروت: دارالإحياء الكتب العربيّة.
- ابن عاشور، محمّد الطاهر (١٩٨٤م),التحرير والتنوير، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسّسة التاريخ.
- ابن منظور,محمّد بن مكرّم (١٩٩٩م)،لسان العرب، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الأسدي، عادل حسن(٢٠٠٦م)،من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، الطبعة الأولى، قم: مؤسسة المحبّين.
- الجوهري،إسماعيل بن حمّاد (١٩٩٠م)،الصحاح:تاج اللغة وصحاح العربيّة؛ أحمد عبد الغفور عطّار، الطبعة الرابعة، بيروت: دار العلم للملايين.
- داود، محمّدمحمّد(٢٠٠٢م)، الدلالة والحركة دراسة لأفعال الحركة في العربيّة المعاصرة في إطار المناهج الحديثة،القاهرة: دار غريب.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمّد (١٩١٢م)،المفردات في غريب القرآن؛ تحقيق صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الشاميّة.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (١٤٠٧ق)،الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، الطبعة الثالثة، بيروت: دار الكتاب العربي.
- سيّد قطب (٢٠٠٢م)،التصوير الفنّي في القرآن، الطبعة السادسة عشرة، القاهرة: دار الشروق.
- الشريف الرضي (١٤١٩هـ.ق)،نهج البلاغة، الطبعة الأولى،قم: مطبعة ستارة.
- ـــــــــــ (١٣٨٨هـ.ش), نهج البلاغة؛ ترجمة محمّد دشتي, الطبعة الأولي, طهران: مطبعة وليعصر.
- شفيعي كدكني، محمّد رضا (١٣٧٥هـ.ش)،صورخيال در شعر فارسي، الطبعة السادسة، طهران: آگاه.

- شكيب أنصاري، محمود، (۱۳۷۸هـ.ش)،دروس في فقه اللغة العربيّة, الطبعة الأولى، أهواز: جامعة شهيد چمران.
- الشيخ، عبد الواحد حسن (۱۹۹۹م)، العلاقات الدلاليّة والتراث البلاغي العربي، الطبعة الأولى، الاسكندريّة: مكتبة الإشعاع الفني.
- الطبري، جعفر محمّد بن جرير (۱۹۹۲م)،جامع البيان في تفسير القرآن، لا طبعة، بيروت: دار المعرفة.
- عمر، أحمد مختار (۱۹۹۸م)،علم الدلالة، الطبعة الخامسة، القاهرة: دار العروبة للنشر والتوزيع.
- قائمي، مرتضى، صمدي،مجيد (۱۳۹۰هـ.ش/۲۰۱۱م)،«التصوير الأدبي في خطب نهج البلاغة»،مجلّة الجمعيّة الإيرانيّة للغة العربيّة وآدابها (طهران)، عدد۱۸،الصفحات ۱۳۱-۱۵۲.
- القمي، عباس (لاتا)،شرح حكم نهج البلاغة، قم: دار الأنصار.
- كرسون، آندره (لاتا)،أرسطو؛ ترجمة كاظم عمادي، الطبعة الثانية، طهران: مكتبة صفيعلي شاه.
- مغنيّة، محمّد جواد (۱۹۷۲م)،في ظلال نهج البلاغة، الطبعة الأولى، بيروت: دار العلم للملايين.
- ولايتي، بتول، مريم، مشكين فام،(۱۳۸۹هـ.ش/۲۰۱۰م)،«نقش عنصر حركت در حيات بخشى به تصاوير قرآنى وبررسي آن در جزء هاى ۲۸و۲۹ قرآن كريم»،مجلّة تحقيقات علوم القرآن والحديث (طهران)، السنة السابعة، عدد۳، الصفحات ۱۰۵-۱۳۸.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی